

ضبابية و تشوّش المعرفة السياسية في مغرب اليوم*

عبد الله ساعف

إن تشكّل النقاش العام ومجالات اتخاذ المواقف والتعليق والتتقيب العلمي، قد تغيّرت بصفة جذرية في مغرب اليوم مقارنة بما كان عليه الوضع، فعدد الباحثين والأبحاث المنجزة والمنشورة وعدد مؤسّسات التكوين والبحث قد تضاعف بشكل محسوس مع التحفظ اللازم بخصوص موضوع إيجاد ميكانيزمات التقييم الملائمة، حيث مازال لكل واحد الحرية للإدلاء بوجهة نظره حول الجودة و القيمة الحقيقية لهذه المساهمات. كما أن الحصيلة والتقييمات، سواء منها تقييمات الماضي أو الحاضر نفسها قد تزايدت بشكل بارز.

فبين النظرية الصرفة والتطبيق، وبين الإنتاج المتخصّص والإنتاج الإعلامي وبين الإنتاج الأكاديمي والتنشيط المختلف، تبرز في الأفق بعض الاتجاهات الكبرى، نذكر من بينها:

— المساهمات التي تسجل ذاتها داخل منطوق الفاعلين السياسيين أو المماثلين لهم، والتي تبرز في نفس الوقت كتكتيكات وعمليات منظمة، ولكن كذلك كاتجاهات وفرضيات : نواياهم، أهدافهم، أعمالهم، تناقضاتهم، تكتيكاتهم، استراتيجياتهم، سعادتهم، تعاستهم، نجاحهم، فشلهم، آمالهم، مأزقهم، إعادة ترتيبهم، تنافرهم وتبريراتهم.. فحسب هذا التوجه الأول، أصبح المجال السياسي ميدان يتنافس فيه أساسا فاعلون إراديون.

— على مستوى التوجه الثاني تبرز القراءات الأكثر دياليكتيكية السائرة نحو تفعيل الفرضيات والنماذج الموضوعية مسبقا وعلاقات القوة : الدراسات السياسية هنا تقوم على شكل منظومة للقيم والأوامر إن لم نقل للتخليق من خلال مجموعة من المقاربات: التقييم السياسي، التحليل الأمني، أو بكل بساطة النقد السياسي. فمن أعلى منبره واعتمادا على قاعدة نقدية داخلية و/أو خارجية يقوم عالم السياسة بتوزيع تقييماته إيجابا أو سلبا، كما يقوم بالتأكيد على تقدم أو تأخر هذا الفعل أو هذا الفاعل، أو تلك الظاهرة أو النزعة، وإبراز الاستمرارية أو القطيعة وإثبات التقدم العادي أو الانحرافات.

— ويمكن تمييز مستوى ثالث، تحاول فيه الأبحاث أن تكون أكثر موضوعية وأكثر إيمانا بالعلم، لها نظرة جديدة تجاه الوضع المغربي في السنوات الأخيرة و المتمثّل في تعنيف النفس والانسلاخ ما أمكن عن عالم التقييم السياسي أو القانوني أو الأخلاقي. هذا الاتجاه تعبير عن نوع من التواضع إذ يرجئ لوقت لاحق التقييم وإصدار الأحكام واتخاذ المواقف ويقتصر على جمع المعطيات وإعمال الفكر بحذر متّخذا كل الاحتياطات المنهجية الضرورية.

في المراحل الأولى لممارسته في المغرب، كان علم السياسة لفترة ما بعد الاستقلال، بكل أصنافه واضح وبسيط، كل شيء كان مرتبطا بالسياسي وبالنظام وبالحكم وبالسلطة وبالعلاقة

الحاكم بالمحكوم، حيث تمحور المجال السياسي لعدة سنوات حول الحكومة ومعارضيتها. أما اليوم فلقد تزايدت أهمية التمايزات كما أصبحت التراكمات تفرض نفسها على مستوى كل موضوع. وعبرة "حصيلة" لها كل الحظوظ اليوم لكي تتلاءم مع تراكم حقيقي حسب المواضيع والزوايا والتخصّصات والإشكاليات بل وحتى الاتجاهات المذهبية. لقد ازدادت تعقيدات السياسي وتكوينه وإعادة تكوينه ومؤثراته.

إن المؤتمر الثالث للجمعية المغربية للعلوم السياسية لسنة 2007، يشكّل فرصة لتجديد النداء من أجل التركيز على السياسي من الناحية الكمية والكيفية على حدّ سواء. يتعلّق الأمر هنا بإعادة الاعتبار من جديد للتساؤل و للسؤال في هذا المجال.. فمن وجهة النظر هذه، علمنا السياسي لازال خاضع وبقوة لمناهج متنوّعة ومكثّفة (دستورية، مؤسّساتية، انتخابية، إدارية....) إلى جانب المواقف التبريرية.

والملاحظ أن مسألة الهوية العلمية لعلم السياسة بالمغرب لا زال بعيدا عن الوضوح. الكل يظنّ أنه يستطيع القيام بذلك بسهولة ولا يتردّد في القيام به فعلا، ففي المجال العلمي المغربي بل وحتى الثقافي، لازالت الحدود التي تفصل بين الميادين العلمية والمجالات التي يتبلور فيها التحليل الغامض والمبهم، مشوّشة و تستعمل فيها المناهج الغير الملائمة والبعيدة عن الوضوح.

أربعة محاور تفرض نفسها لتحليل و تنظيم مناقشات هذا اللقاء:

المحور الأول: يشتمل على علاقة العلوم السياسية بالانتقال في المغرب. يتعلّق الأمر هنا بالبحث عن الأبعاد السياسية للمرحلة الحالية ومجال نشاطها وفاعليها. كيف يمكن إدراج المعارف المتعلّقة بالسياسي في إطار الديناميكيات الظرفية؟ كيف يمكن ربط المعرفة بالمعاش؟ كيف يمكن صياغة خطاب معرفي حول السياسة كما هي ممارسة في الوقت الذي تمارس فيه؟ استكشاف أبعاد الانتقال يحيل على موضوعاته وعلى النصوص ذات الارتباط به، بمعنى مجموع التجارب المرتبطة به.

المحور الثاني، يدور حول علاقة العلوم السياسية بالتحوّلات الاجتماعية في المغرب، فالمقاربة الاجتماعية حاضرة. كيف يمكن للعلوم السياسية أن تفهم السياسات العامة و التنمية الاجتماعية والتنمية الإنسانية...؟

المحور الثالث، يتمركز حول مسألة علاقة العلوم السياسية بتداخل الثقافات بالمغرب: ما هي الحظوظ لتجاوز المقاربة الثقافية التي تفسّر كل شيء بالخصوصيات الثقافية و بالحمية الثقافية؟ إن صدام الحضارات أو التحالف الحضاري لا يطرح بعبارات الصراع و إنما بدءا بالنظر إلى الذات: الثقافي بالمفهوم العام (الفنون، الآداب، الفكر، الإنتاج الثقافي....) وكذلك الحساسيات، المعاش، الوجود، التقاليد، الاندماج، الموروث الحضاري....

وأخيرا المحور الرابع، ويتعلّق بإشكالية العلوم السياسية في مواجهة تحدّي العولمة بالمغرب: وفيه يتم البحث من جهة عن نظرة العلوم السياسية تجاه الأبعاد الدولية للسياسي في المغرب وللمؤسّساتي والعلائقي، الثنائي والتعددي، تموقعاته السابقة ووضعها الاستراتيجي، وكذا الغزو الكاسح السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإعلامي للعولمة.

ورقة بمناسبة انعقاد المؤتمر الثالث

للجمعية المغربية للعلوم السياسية

(المحمدية: 14 / 15 دجنبر 2007)